

العقلانية بين المتشرّعين والحدائين (مفاهيم، وحقائق، وإشكالات)

الدكتور محمد نذير أوسالم جامعة وهران1

الملخص:

العقلانية مصطلح بارز في الحضارات الإنسانية عبر فلسفاتنا ومذاهبها الفكرية، وكذلك من خلال المؤسسات الدينية رفضا وقبولا، والعقلانية إلى يومنا هذا تجد مكانها بين الناس، وإن اختلفت المعايير وتحددت الوسائل والأدوات وتعددت المناهج .

قد يحتكر العقلانية من يدّعي وصله بالفكر والفلسفة، وتحزّره من ريقه الدين وقبوده كالحداثيين وكلّ من تمسّك بأفكار التحرر والإنسانية بعد عصر الأنوار، ثمّ ينفونها عن رجال الدين من المسيحيين واليهود والمتشرّعين من المسلمين؛ مع أن الأمر ليس بمثل هذه البساطة، إذ العقلانية وجدت لها مكانا بين كثير من المتشرّعين وإن نبذها فريق منهم ممّن لا يرى لها حظّا إلى جانب الوحي والدين .

فالإشكالية دقيقة إذن ، والخلاف حول العقلانية قديم ليس فقط بين الفلاسفة والمتشرّعين من جهة، بل بين المتشرّعين أنفسهم فمنهم أصحاب الرّأي كأهل الكلام ومنهم أصحاب الأثر كأهل الحديث، فلا مجال لاحتكار العقلانية من طرف دون آخر، لأن الأمر أوسع مجالا وأدقّ مالا .

Résumé

La rationalité est très connue dans toutes les civilisations, en toutes sortes de philosophie et ces branche de savoir ;comme elle avait connue des grands débats dans les institutions religieuses .

Beaucoup d'intellectuels insistent sur la rationalité ,et essayent de monopoliser ces outils méthodique des sciences humaines ou sciences réelles ; comme exemples les modernistes qui avait poursuit le chemin des Lumières et ses idées de libertés et de l'humanisme , en croyant que les théologiens chrétiens ou judaïques et jurisconsultes (moutesheriine) musulmans, n'avaient aucune relation avec la rationalité ,mais endoctrinés par la religions et, ses révélations mythiques ; tout cela n'est pas très exacte, car les jurisconsultes (moutesheriine) musulmans étaient t toujours en deux sortes de réflexions ,l'un des deux est rationnel comme les mu'tazilites et Ash'arites et ,de l'autre coté ceux qui étaient irrationnels comme Ahl'l'hadith .

Donc cette problématique est très délicate et, ce conflit sur La rationalité n'est pas récent mais très ancien qui ne cessera jamais, tant qu'il y a les hommes qui croient en Dieu et sa révélation sans oublié sa sainteté et, ceux qui ne croient qu'au concret, dont le meilleur instrument pour connaître la vérités sans doute est la raison en ignorant toute texte religieux .

الكلمات المفتاحية:

عقلانية ، فلسفة ، حادثة ، حداثيون ، متشعبة ، وحي ، عقل

العقلانية بين المتشرّعين والحدائيين (مفاهيم، وحقائق، وإشكالات)

الدكتور محمد نذير أوسالم

جامعة وهران 1

مقدمة :

الحمد له ربّ العالمين ، و الصّلاة والسّلام على رسول ،وعلى آله وصحبه ومن والاه ،وبعد :

فلم تُرْجَ موجة العقلانية في عصرٍ كالذي عرفه النّاس بعد عصر التّنوير ،وصارت مؤئل كثير من الفلاسفة والمفكرين يعتمدون فيها العقل دون الوحي في صناعة أفكارهم ،ثمّ تحليل الظواهر التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية معتمدين معايير عقلية أحدثوها قد تكون محلّ إجماع أحيانا ،و تكون مشار جدال تارة أخرى ،يتلقفها طرف ويتركها طرف آخر ،وتتوالى نظريات ينقض بعضها بعضا كالبنبوية و التفكيكية الحداثة وما بعد الحداثة ،إلا أنّ الجامع الذي يجمع بين كل تلك الأطراف ،و تقوم عليه أنظارتهم وتنطلق منه رؤاهم ،العقل المنابذ للوحي ،والإنسانية البديلة عن الدين .

فعالب المناهج الغربية تقوم فلسفتها على العقل ،وقد سعى أصحابها إلى ترويجها فاستهوت كثيرا من المفكرين العرب فاتخذوها طريقا جديدا لا يحيدون عنه ،بديلا عن تراث من سبق من المسلمين ،الذي اعتبروه شيئا من التاريخ لا يصح الاعتداد به ،وأن السبيل إلى التطور واللحاق بركب الحضارة هو الأخذ بأسباب الحداثة التي نشأت على أسس العقل والفكر الحرّ ،بعد أن نبذت الدين وتعاملت مع نصوصها بشيء من الشكّ وعدم التقديس والزراية في بعض الأحيان ،فالعقل عندهم هو المهيمن ،أما الوحي فقد ولّى عهده ؛وذلك ما أثار النزاع بين هؤلاء الحدائيين والمتشرّعين ، ممّن يقُدس الوحي ويقدمه على العقل ،وقد يعتد كثير من المتشرّعينّ بالعقل ولكن في حدود ما يقبله الوحي فاتسعت هوة التنافر

بينهم ،بعد أن أثبتت إشكالات وقُلبت حقائق ولويت أعناق المفاهيم ،فصار لزاما تبين ذلك كله ولو بشكل مقتضب ،من أجل ذلك كان هذا المقال الذي سأحاول من خلاله وضع الأشياء في نصابها - ما استطعت - حتى لا يحتكر العقلانية من يريد منا بذة الوحي ،ظنا منه أن الوحي نقيض العقلانية ،والأمر على خلاف ذلك .

قبل الكلام عن مفهوم العقلانية وأبعادها سأقوم بجلب بعض التعريفات لمصطلح ((العقل))،أراها وافية بالمقصود ،ولا يمكن إيرادها جميعا لكثرتها وتشعبها ،وشدة التباين في العبارات والمرامي - لتباين الفلسفات بل والتخصصات العلمية من أصولية وكلامية وفلسفية - التي اعتورت هذا اللفظ .

مفهوم العقل:

. جاء في مفردات الراغب : "العقل للقوة المتهيئة لقبول العلم ،ويقال للعلم الذي يستفيدة الإنسان بتلك القوة عقل " ¹ . جاء في المعجم الوسيط : " ما يكون به التفكير والاستدلال وتركيب التصورات والتصديقات .و العقل ما به يتميز الحسن من القبيح ،والخير من الشر ،والحق من الباطل " ²

. وفي كشاف اصطلاحات الفنون: العقل مراتب :العقل الهيولاني ³ وهو الاستعداد المحض لإدراك المعلومات ،والعقل بالملكة وهو العلم بالضروريات ،واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات منها ،والعقل بالفعل وهو ملكة استنباط النظريات من الضروريات ،أي يصير الشخص بحيث متى شاء استحضر الضروريات ولاحظها واستنتج منها الضروريات ..

أمّا إذا اعتبر العقل مناطا للتكليف كما هو عند أهل الشرع فمعناه عند الأشعري العلم ببعض الضروريات الذي سمي العقل بالملكة ،وعند القاضي - ويقصد الباقلاني - العلم بوجوب الواجبات العقلية

، واستحالة المتحيلات، وجواز الجائزات، ومجاري العادات ،أي الضروريات التي يحكم بها بجران العادات ،وهو تفسير لما قاله الأشعري .

أما المعتزلة فعرفوه بما يعرف به حسن المستحسنات وقبح المستقبحات .

وقيل هو جوهر مضيء خلقه الله في الدماغ ،وجعل نوره في القلب .⁴

. ومن تعاريف المعاصرين : "العقل قوة خفية تدرك بها الأشياء ،وهي من الله تعالى نستطيع في ضوئها أن نميز بين الحق والباطل ،وبين الخبيث والطيب ،بين النافع والضار ،بين الحسن والقبيح ،سواء حملت هذه القوة الخفية اسم العقل أو اسم القلب و اسم العلم ."⁵

. استطاع محمد عمارة تلخيص معنى العقل بقوله: ((فالعقل ليس الدماغ الذي يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء .. وإنما هو على عكس التصور المادي لفلسفة التنوير الغربي كما عند ابن رشد . " ملكة إدراك الموجودات بأسبابها "⁶ .. وكما عند الشريف الجرجاني " جوهر مجرد عن المادة في ذاته ،مقارن لها في فعله "⁷))

مفهوم العقل أو العقلانية ارتبط في الفلسفة الغربية بالجانب المادي خلافا لمفهومه عند المسلمين إبان حضارتهم سواء في المشرق أو المغرب . وإلى يومنا هذا عند من تمسك بأصول دينه، "لأن الطور الإغريقي لهذه الفلسفة كان العقل فيه بلا نقل ولا وحي سماوي .. ولأن طورها الحديث كان العقل فيه ثورة على اللاهوت الكنسي اللاعقلاني .. فلقد كان اتجاه الإسلام والمسلمين في تعريف العقل والعقلانية مغايرا ومتميزا. فالعقلانية الإسلامية نابعة من الدين وليست غريبة عن الدين .. "⁸

عناية الإسلام بالعقل والإشادة به شواهد كثيرة ،ودلائله وفيرة ،فبالرجوع إلى تراث الإسلام الواسع تدلنا نصوصه . سواء الدينية وغير الدينية . على مدى تأثير العقل في تفكير المسلمين في جميع الطوائف حتى الصوفية منها ،على تفاوت بينها لمزاحمة الوحي ،فقد يقدم أحدهما على الآخر، ولكن لا

خلاف في حضور العقل، ويكفيه أن يكون مناط التكليف، وفاقد العقل لا يكلف، فإن وجد خطاب من وحي فإنه يوجه إلى العقل بالدرجة الأولى فهو الذي يستقبله ثم يتحول الخطاب بعد ذلك عقيدة تنعقد في القلب، أو إلى عمل يتحرك به الخارج على شكل سلوك أخلاق، أو طقس ديني يتوجه به نحو ربه، ولا يُعرف في الإسلام ما عرف في غيره من ادیان "اعتقد ولا تنتقد"، فهو دين عقل يدعو إلى التفكير ويحث عليه .

قد تختلط علينا المفاهيم في بعض الأحيان فلا نكاد نميّز بين المشروع وغير المشروع، والمقبول وغير المقبول، فالتشبث بالنقل الصحيح والدفاع عنه، والتخندق في مضماره لا يعني التنكر لكل ما هو عقل، ولا يصحّ أن نستصحب الدّم والتأثيم كلّما ذكرنا العقل والعقلانية، فليس كلّ من مارس العقلانية يُحسب على الطائفة التي تعادي الوحي، فحسن التصنيف من الإنصاف، فليس كل من مارس حقّه في صناعة العقليات مارق، لأن الحاجة قد تكون ماسة إلى تلك الممارسة إذا كانت لنصرة الحق والدفاع عن الوحي، فالعقل أحياناً يكون خير خادماً للدين لمن أحسن استخدامه، ولو أنصفنا لقلنا إن المعجزة القرآنية تخاطب العقول، امتاز فيها الوحي مع العقل، ولولا ذاك ما آمن بتلك المعجزة إلا قليل: ، ولو رجعنا إلى قول الله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" [يوسف / 2] لأدركنا أن القرآن خير داع إلى العقل، فلا تعارض بين العقلانية والقرآنية، أو العقل والنقل .

ثم لا بدّ أن نعلم أنّ الذين يتبنون العقلانية ليسوا صنفاً واحداً، بل هم أصناف شتى ومذاهب متنوعة، منهم الفلاسفة، والمعتزلة، والأشاعرة، والشيعة الإمامية، والحداثيون، وغيرهم كلّهم ينطلق في صناعة فكره وإنشاء مواقفه، وإبداء آرائه من منطلق عقله، وقد يتفاوتون في هذا المقدار الذي يعتمدون فيه على عقولهم، منهم من يركب متن العقل وحده ويتنكر للوحي، ويدير ظهره للأنبياء وما جاءوا به من حقائق الغيب، ويستنكف عن وحدانية الله وسائر أسمائه وصفاته، ولا يلتزم بأيّة شعيرة يعظم فيها ربه راكعاً وساجداً خاشعاً وعابداً، أو أيّة شريعة تقوم عليها حياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وما إلى ذلك من مناحي الحياة المعقّدة والمتجدّدة، أو أيّ خلق حسن يستقيم به سلوكه مع نفسه ومع

الناس، فهذا الصنف من الناس فلاسفة وغير فلاسفة وثقوا في العقل وحده، فكما ظهوروا قبل الإسلام كشأن فلاسفة اليونان، الذين صدّروا العقلانية للأمم الأخرى، وتلك "العقلانية". بمعنى التفسير العقلاني لكل شيء في الوجود، أو تمرير كل شيء في الوجود من قناة العقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه. مذهبٌ قديم في البشرية، يبرز أشد ما يبرز في الفلسفة الإغريقية القديمة، ويمثله سقراط وأرسطو⁹؛ ثمّ ظهر فلاسفة إسلاميون ممّن سلك نهجهم بعد استقرار حضارة الإسلام وترجمة كتب هؤلاء الفلاسفة، فكان منهم ابن سينا والفارابي وغيرهم.

من علماء الإسلام من درس فلسفة هؤلاء وسبر غورها، وعرف مكانم الضعف والقوة فيها، ودقائق الزّيف والضلال فانتقدها، فأظهر زيفها وغوّارها فأنكرها، كالغزالي في كتابه ((تهافت الفلاسفة))، هذا الكتاب الذي انتقد من قبل ابن رشد الحفيد من خلال كتابه ((تهافت التهافت))، فابن رشد كان فيلسوفاً وفقهياً في الآن نفسه. دون أن يُعرف عنه نُكران للوحي أو الشريعة بل حاول أن يُلّق بيهما في كتابه ((فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة و من الاتصال))، ولا يصحّ الانسياق وراء فرح أنطوان الذي أراد أن يخلع عليه خلعة المادية و اللادينية¹⁰. وذلك نتج من عدم التمييز بين ابن و "الرّشديين"؛ فالتبست حقيقة "تيار ((الرّشديين اللّاتين))"، الذي صارع الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا إبان بدايات النهضة الأوروبية. والذي لعب دوراً ملحوظاً في التأسيس للتنوير والعلمانية. فحسبوا مقالات ((الرّشديين اللّاتين)) على فيلسوف قرطبة المسلم¹¹.

ثمّ انتقلت الفلسفة مرة أخرى إلى أوروبا، وهذه المرة كان بعض التأثير فيها للفلسفة الرّشدية التي عمّقت الجانب العقلاني. دون عداً للدين الصّحيح. في عقول الفلاسفة في مقابل الفكر اللاهوتي الذي سيطر على رجال الكنيسة الكاثوليكية الذين عادوه أيّما عداً، كما يقول محمّد البهي: "كان الدين أو ((النص)) طوال القرون الوسطى سائداً في توجيه الإنسان في سلوكه وتنظيم جماعته، وفي فهمه للطبيعة....."¹²، وقد كان أثناء تلك الفترة من القرون الوسطى. كما تقول الباحثة الإسبانية ماريا روزا مينوكال. سؤال مركزيّ: "هل يمكن للإيمان والعقل أن يتعايشا، أم أنهما متنافيان؟

سيخوضه مفكرون كبار ينتمون إلى التقاليد التوحيدية الثلاث. وبالفعل كان الكاتبان الألمان، الذين قاما بالتحليل المتبصر لهذه المسألة العويصة في القرن الثاني عشر، لا يزالان شاخين، ويعيشان في نواحي قرطبة، مثل هاليبي¹³؛ ففي سنة 1140، كان سن ابن رشد، الذي سيعرف بشروحه اللامعة لأرسطو، خمسة عشر عاما، وسن موسى بن ميمون الملقب بالميموني، الشهير ((موسى الثاني)) خمس سنوات. وكلاهما سيتجاهل رفض هاليبي، الزاهد بشكل مبالغ فيه، للتقليد الفلسفي المتين الذي أسهم فيه اليهود إلى جانب المسلمين؛ بينما كان يصفه هاليبي بازدراء، باعتباره ((الحكمة الإغريقية المثيرة للفتنة والمؤذية إلى الترهات، فهي تدعي التنوير ولا يتحصّل من ورائها إلا التعميمات)).¹⁴ فجاءت بعد ذلك "هذه النهضة الحضارية الغربية الحديثة امتدادا للموقف اليوناني القديم، في الاعتماد على ((العقل)) وحده أداة للتفلسف والتأمل والتفكير..."¹⁵

الإشكال ليس في العقل، لكن في استعماله ومدى ارتباطه بالوحي أو عدمه، فالإشكال أن نعلم عليه بالكلية وننتكر لوحي السماء كشأن الحداثيين الذين يرفعون شعار "لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده"، ثم يُعطون لأنفسهم حق تأويل النصوص الدينية عموما، والنصوص القرآنية على وجه الخصوص، بوسائل ومناهج وطرائق يرون أنها الأنجح والأصلح في إدراك دلائل ألفاظها، حتى ولو خالف ذلك التأويل حقائق التنزيل.

كان عالم الهرمينوطيقا المعاصر بول ريكور قد تساءل: ماهو النص؟ يشير إلى أنّ هذا السؤال ليس بسيطا كما نظنّ، وأنّ التقليد الحبري (Rabbinic)، يحمل جوابا على هذا السؤال، يختلف بنحو كبير عن التقليد الذي يستقي أصوله من تفكير اليونان وفهمهم الفلسفي.¹⁶ ذلك الاختلاف بين الإجابتين ليس غريبا، لأن معتمد الحبر غير دعائم الفيلسوف في النظر، فمفهوم النص الذي ينطبع في ذهن الأول غيره عند الثاني الذي يركن إلى العقل ولا تكون له سوابق من المفاهيم الدينية التي انطبعت في ذهن الأول من خلال تلك النصوص الدينية التي يؤمن بها هؤلاء.

هنا وجب أن أتكلم عن العقل عند المعتزلة¹⁷، فمن الحداثيين أو العقلانيين من يجعل من فكر هؤلاء مشجبا يعلّق عليه مناهج فكره فتكون حينئذ المغالطة، فالمشابهة في وجه ما لا تعني المطابقة، فالمعتزلة على اعتدادهم بالعقل لا يهتمون المصادر الأخرى، فإن قدّموه عليها فلا يعني أن العقل مهيمن عليها، فالقاضي عبد الجبار يبيّن الأمر بيانا لا لبس فيه بقوله: "في بيان هذه أدلة [أي أدلة المعتزلة] أوّلها: دلالة العقل، لأن به يُميّز بين الحسن والقبيح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع. وربما تعجّب من هذا الترتيب بعضهم، فيظنّ أن الأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع فقط، أو يظنّ أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر، وليس الأمر كذلك، لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع، فهو الأصل في هذا الباب، وإن كنا نقول: إن الكتاب هو الأصل، من حيث إن فيه التنبيه على ما في العقول، كما أنّ فيه الأدلة على الأحكام، وبالعقل يميّز بين أحكام الأفعال وأحكام الفاعلين، لولاه لما عرفنا من يؤخذ بما يتركه أو بما يأتيه، ومن يحمّد ومن يذمّ، ولذلك تزول المؤاخذة عمن لا عقل له".¹⁸

وفي كون "الكتاب هو الأصل" عند المعتزلة. كما قرّر القاضي عبد الجبار -، يفارقون العقلانيين من الحداثيين وغيرهم، فالمعتزلة خدموا القرآن وسائر العلوم العقلية والشرعية والعربية انتصارا للدّين، وإن جانبهم الصّواب في الكثير من المقولات، ولكن ذلك لا يخرجهم عن حيّاض الإسلام، عكس من يقول - من الحداثيين - بتاريخية القرآن، ويسخر من قداسة القرآن ناهيك عن السنة والإجماع، ويستخفّ بأحكام القرآن بصور شتى مباشرة وغير مباشرة، ويرفعون من قدر العقل الذي لا يوازيه شيء في تقدير الأشياء والحكم عليها، وفي ابتكار القوانين والاعتماد عليها، فالعقل عندهم هو الحكم لثرضى حكومته بلا منازع أو مواربة.

ومثل الذي قيل عن المعتزلة قيل عن محمّد عبده، فهو منشئ المدرسة العقلية الحديثة، والمروّج لأفكارها وأسسها ومبادئها، قصد إصلاح أوضاع آثر فيها المسلمون الركود على النهوض، والتبرير على التعمير، والتقليد على الاجتهاد، إنها أوضاع ساد فيها الجهل وضاع فيها العلم وتخلّفت فيه طرائقه

فانبرى حينذاك للإصلاح بسلاح العقل، بمقالاته في الجرائد والمجلات وتأليف الكتب، ودروس الأزهر، خصوصا دروس التفسير كالتى أثبتتها رشيد رضا في تفسيره، من خلال ذلك كله نشر أفكاره الإصلاحية ذات الصبغة العقلية الفلسفية، ولكن عقلانية محمد عبده لم تزحه عن الوحي، قد يشتط في بعض الآراء والتفسيرات. كما سيأتي في البحث. ولكنه لم يشكك في نصوص الوحي أو ينفي عنها القدسية والإعجاز وما إلى ذلك من ثوابت الدين التي عاش لها مدافعا، ولا يضيره أن يعتريه بعض النقص كشأن كل البشر.

إن حقيقة محمد عبده، وحقيقة فكره لن يكون التعبير عنهما بأحسن مما عبّر به هو عن نفسه بنفسه وعن فكره وإيمانه، فلا أدل على ذلك من قلمه، فلو أراد الباحث أن يحدد معالم العقل المشدود بالتقل لما وجد أبلغ من قوله فيه "والذي علينا اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد، لا دين تفريق في القواعد؛ العقل من أشد أعوانه، والتقل من أقوى أركانه؛ وما وراء ذلك فنزغات شياطين، أو شهوات سلاطين، والقرآن شاهد على كل عمله، قضى عليه في صوابه وخطئه".¹⁹

ويقول أيضا "وتآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل"²⁰. فمسائل الدين القطعية عنده لا تناقش.

فعقلانية محمد عبده قد صُبغت بالدين وأحكمت بقواعده، تمجيده للعقل لا يعني أنه دخل في زمرة الحداثة، أو كان واحدا من بناتها في العالم الإسلامي كما يعتقد بعض الناس؛ فتلك ميزة دفعت أحد أقطاب الحداثة عبد المجيد الشرفي للتعبير عنها بقوله: ((فنى الشيخ محمد عبده يلح في مواطن عديدة من رسالة التوحيد على أن "السبق في الزمان ليس آية من آيات العرفان" ويدحض آراء المتشبهين بالتقليد، ويؤكد على العكس من ذلك أن الإسلام "أطلق سلطان العقل"، وأنه لا تعارض البتة بين ما يقره العقل والعلم وما أتى به الدين، وهو غرض لم ينفك يتردد بعده على أقلام المفكرين المسلمين. ولكن أن لا نغتر بهذا التأكيد على إطلاق سلطان العقل فنلحق عبده بالمفكرين العقلانيين. إن للعقل

عنده حدودا لا يجوز له أن لا يتعدّاها، وهو من أشدّ أعوان الدّين، ووظيفته إنّما تتمثّل في توفير الأدلّة على ما جاء به الوحي وليست، كما هو الشأن عند الفلاسفة، في استمداد الآراء من الفكر المحض والاندفاع وراء رغبة العقل في كشف المجهول، وشتان بين الموقفين! إنّ الشيخ عبدا يذهب بالعقلانية إلى أقصى نتائجها، بل هو عاش في ظرف كان يشعر فيه بضرورة مسايرتها، ولكنّه سرعان ما استرجع باليد اليسرى ما أعطاه باليد اليمنى".²¹

إذن لا شيء أغبط لهؤلاء الحدّاثيين من أن يكون المتشرّعون على تلك الدّرجة العالية من العقلانية، لأنّ ذلك يُعيق مشروعهم التّحديثي الذي يصبون إليه في المجتمعات الإسلامية.

تحسّ وكأنّ الشّرقي في تلك الكلمات يأسى ويأسف أو يوتّخ ويقرّع، لا أدري مقدار ما وراء كلماته من الأسى والحزن، أو من الاستفزاز والاتّهام؟ وكأنّه أراد أن يكون عبده على غير ما كان عليه من الالتزام بحدود الشّرع، يريد منه أن يذهب مع العقل مذهب الفلاسفة الماديين، أن يذهب كذلك إلى أقصى نتائجها من المروق من الدّين والتّشكيك في قواطعه، والتّنازل عن أحكامه بل وهدمها من أساسها، ذهّابا إلى تاريخية تلك النصوص التي ما عادت اليوم تفي بأغراض الحياة المتطورة، إنّها حياة الحداثة التي لا يستوعب متطلّباتها إلا عقل حرّ، وفيلسوف لمّا لا يتقيّد بقيود الشّرع الموثقة، أو توجيهاته المقلقة، التي تحجب الناس عن تحديد مصالحهم الخاصة والعامة بما يراه كلّ فرد مناسبا لحياته الفردية أو الجماعية، وفق هواه، فهو عند أحسن الأحوال يستحضر الضمير الجمعي، أمّا مراقبة الله والخوف منه واستحضار عظّمته فذلك ما لا يليق بالفرد الحرّ، ولا يستقيم مع إنسانيّة الإنسان.

إن الحداثة التي يصبو إليها هؤلاء بإيجاز هي: "نمط حضاري يختلف جذريّا عن الأنماط الماضية أو التقليدية"²²، ومن لوازمها في الفكر والاقتصاد والسياسة وغيرها. كما يقول الشّرقي. "العقلانية، إذ لا تُتصوّر الحداثة بدون عقلنة هذه الميادين كلّها؛ فهي التي أدّت إلى التقدّم العلمي والتّقني وكانت الرّكيزة الفلسفية لجميع الحركات الأدبيّة والفكرية منذ عصر التّنوير..."²³ إلى أن يقول: "وبديهي أن العقلانية

بما هي ملكة إنسانية ، لا يختصّ بها جنس دون آخر ، وأنها إذا انتشرت في الغرب لظروف معيّنة فإنّها يمكن أن تنتشر في غيره من الأصقاع متى تهيأت الظروف الملائمة . وهو ما يبيح لنا التأكيد بأنّ طاقات التغيير كامنة في كلّ مجتمع ، ولا نستثني من ذلك المجتمعات ذات التقاليد الإسلامية²⁴ على وجه التخصيص²⁵ .

فالمجتمعات الإسلامية . ولا أقول ذات التقاليد الإسلامية . يتجاذبها تياران أحدهما يجذبها إلى النصية والآخر إلى العقلانية ، فالأول طريق المتسرّعة من الإصلاحيين ومن حذا حذوهم ، والثاني طريق الحدّاثيين من دعاة التّنوير والعلمانية ، وحينما عبّرنا عن التيار الأوّل بالنّصية إنّما ذلك باعتبار الإيمان بالوحي المنزل ، وإلا فلا فكاك للنّص عن العقل والعقلانية ، وإن تفاوتت درجات العقلانية بين المذاهب والطوائف الإسلامية ، أما العقلانية عند التيار الحدّاثي فلا يقبل مزاحمة النّص (النقل) ، فالتيار العقلي يؤكّد استقلالية العقل وأسبقيته على النقل (النص) ويتخذ من المعرفة العلمية نموذجا لكلّ أنواع المعرفة ، وهو لا يعترف بالمعرفة الميتافيزيقيا لأن القضايا المزعومة لأي منها لا يمكن إخضاعها ، حتى من حيث المبدأ لمعايير العلم ، ويرى في تحكيم الدّين في الأمور الحياتية للإنسان تهديدا لاستقلالية الإنسان على المستوى الخلقي والسياسي على مستوى الاستقلالية الاستمولوجية للعقل²⁶ .

تواطأ النّاس . إلا من شدّد . على أنّ القرآن كتاب العقل بجدارة ، لا يدانيه في إثارة العقل إلى التفكير والإشادة به كتاب سماويّ آخر ، وكثيرا ما يدعو الخصم إلى إعمال الفكر لتقرير معتقداته بالبرهان إن كان له في ذلك برهان " وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " [البقرة/111] ؛ وطائفة من المستشرقين يقرّون للقرآن بهذه المزيّة ، التي عبّر عنها واحد من كبارهم وهو جاك بيرك²⁷ بقوله : "لقد تبينّت لي بوضوح عقلانية القرآن في كلّ سورة من سوره ، وفي كلّ آية من آياته ، وذلك ثمرة مصاحبة ومعايشة طويلة للقرآن²⁸ "

أما أركون فيذهب في تحليل معنى العقل بصيغتيه (عقل/يعقل) وبمختلف استعمالاته وبدائله في القرآن مذهباً غريباً ، ومن النقص عدم استعمال سائر جذوره نحو (معقول/تعقل) ، إنما أراد من خلال نظريته هذه أن يظهر سداحة الاستعمال وسداحة المعنى الذين لا يناسبان إلا ذلك المكان في ذلك الزمان الذين نزل في حدودهما ذلك القرآن على هؤلاء البدو من العرب ، لا يرتقي فيه ذلك العقل القرآني إلى مستوى المنطق الأرسطي لعمق هذا الأخير وسداحة الأول ، فالعقلانية في مقولات الفلسفة لا يمكن أن ترتقي إليها عقلانية القرآن إن كان للقرآنية عقلانية ، ولذلك قال في هامش الصفحة: "ينبغي ألا نطعن أن كثرة هذه المفردات²⁹ تشكّل دليلاً على وجود العقل بالمعنى الفلسفي الأرسطي الذي لم يدخل الساحة الثقافية العربية والإسلامية إلا فيما بعد"³⁰ ، إنه كلام خطير إذا ما تأملنا فيها بعمق ، فكأنما يتكلم عن كلام غير كلام الله ، أي عن كلام صاغه بشر وفق إمكانياته اللغوية التي لم ترتق إلى مستوى يسمو بها عن حدود الزمان والمكان ، وقد أدرك خطورة هذا الكلام الباحث زكي ميلاد الذي أرجع مثل تلك الأفكار إلى المستشرقين . وهم أساتذته المصطفون وإن انتقدهم فهو يمسي على ضوء مناهجهم ، "وكأن هذه الملاحظة تريد القول أن القرآن ينتمي إلى البيئة الثقافية والاجتماعية التي جاء لمخاطبتها ، ويتحدد بالزمان والمكان الذي نزل فيه ، وهذا القول لا يقول به إلا المستشرقون أو المتأثرون بهم"³¹ .

فأركون حينما قصر معنى مادة ع ق ل في القرآن في المعاني العربية البدوية . كما قال . وهي الحجز ودفع ثمن الدّم ، وأن لا يتجاوز معنى تلك المادة في القرآن حدّاً ضيقاً اختاره دون أن يكون له سند معتبر إلا فكره الذي يوجهه نحو وجهة تظهر القرآن أصغر من أن يصل بمعانيه البدوية إلى الفكر الفلسفي ، وإلا فإن تأويله لتلك المادة في سياقاتها القرآنية لم يكن صائباً ، بل ساذجاً ، ولو كلف نفسه عناء الاطلاع على بعض التفاسير التي أظهرت معناها القرآني لما وقع في ذلك الخطأ ، فقلوه: "لا نعرف معنى آخر لهذه الكلمة إلا المعنى القريب من استخدام القرآن لها ، أي معنى الحجز والربط والتذكر ثمّ التعرّف على الشيء" ، والأمر ليس كذلك ، فحينما تُتأمل الآيات التي جاءت بصيغة "تعقلون" أو

"يعقلون"، أو ما كان في معناها من تلك الآيات الداعية إلى إعمال الفكر في آيات الله، فإن معناها أعمق مما أولها به أركون، فمادة (ع ق ل) في القرآن ترتفع في معناها من مجرد التذكّر - كما قال أركون - إلى معنى الإدراك، كما يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" [البقرة/164] " لا يدركون شيئاً من المذكرات"³²؛ وقال في تفسير قوله تعالى: "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَجَعَلَ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" [يونس/100] "نفى العقل المستقيم، أي الذين لا تهدي عقولهم إلى إدراك الحق، ولا يستعملون عقولهم بالتّطرّ"³³، وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: "وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" [العنكبوت/ 63] "إضراب انتقال من حمد الله على وضوح الحجج إلى ذمّ المشركين بأنّ أكثرهم لا يتفطنون لنهوض تلك الحجج الواضحة، فكأنهم لا عقل لهم لأن وضوح الحجج يقتضي أن يفطن لتأثيرها كلّ ذي مُسكة من عقل فنزلوا منزلة من لا عقول لهم"³⁴.

إن ذلك المعنى الساذج الذي أوّل به أركون تلك الكلمة القرآنية لا ينهض بالمخاطبين بها إلى مستوى الإيمان بالله وتوحيده، فذلك هو الذي يراد بخطاب العقل أو الفكر أو الألباب، فإن لم يكن بهذا الهدف فما فائدة إدراجها كلّها في عشرات الآيات القرآنية، والإدراك يتعلّق بالقلب لا بالعقل، ولم يتخرج من أن يقول "هكذا ينبغي إذن ألا نبني أوهاما كثيرة على تواتر المفردات ذات التلوينات العقلية في القرآن"³⁵، تنزّه كلام الله من العبث وتعالى عن النقص.

وقال قبل ذلك - حينما ذكر تلك الألفاظ القرآنية ذات الألوان - "إنّ هذه العبارات ذات التلوينات العاطفية الواضحة لا تتطلب استخدام الفهم المنطقي الذي يطابق بين الفكرة الواضحة والحقيقة الخارجية عنها بصفاتها حقيقة واقعية"³⁶، لا يرى لتنوع الألفاظ قيمة زائدة، وما تعلق بمادة (ع ق ل)

وقريناتها لا أثر له في المعنى الفلسفي العميق ، بل آثارها لا تتجاوز الجانب العاطفي ، بإدراك القلب لا بإدراك العقل ، وبمنظرة عابرة يدرك قارئ القرآن ، أن الله في المسائل العقدية خاطب في الإنسان عقله لأنه محل إدراك الحقائق العلمية التي لا ينفع معها إلا القطع والجزم ، أما الظنّ فلا ينفع في أصول العقائد ، يقول جل من قائل : "وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا" [النجم/28] ، كما يقول أيضا : "أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۖ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ" [يونس/66] ، فالظنّ يساوي التقدير بالتّحمين ، إنّه تقدير غير دقيق فهو إذن غير جازم ، هل الخطاب هنا للعقل أم للقلب ؟ لا إنه للعقل وحده لأنّه وحده الوسيلة التي تؤدّي إلى القطع والعلم الجازم الذي لا ظنّ ولا شك ولا وهم معه ؛ فلا بدّ أن يكون التقدير فيه عاليا ودقيقا لا يقبل النّقض ولا الهدم ؛ وعلماء الكلام فصلّوا كثيرا في هذه المسألة ، فأثّر لهم أن يخوضوا في مثلها لولا القرآن الكريم ، الذي فجّر فيهم ينابيع الفكر والنّظر ، وقادهم إلى الفكر العلمي ، ومناهج البحث العلمي ، فنافسوا به فلسفة أرسطو ومنطقه ، لا أدري كيف استطاع أن يقارن بين القرآن وبين فلسفة أرسطو ، بل ويجعل لمعنى العقل عند أرسطو من العمق ما لا يوجد لمادّة (ع ق ل) وأخواتها في القرآن؟!

وقريّا من قول أركون ما قاله الفارابي كما أثبتته دراز وهو يردّ عليه تفضيله للفلسفة على الأديان والملل ، لأنّ الأولى وسيلتها البراهين العقلية لا مجرد الإقناع ، نظرا لعلميتها التي تمكّنها من تعقّل بذاتها لا بمثلها ، أما الأديان فطريقتها في التفهّم إقناعي وتمثيلي³⁷ ، لذلك ربط أركون الإدراك بالقلب لا بالعقل .

ثمّ يرد دراز . وهو خبير بالدين والفلسفة . على هذا الكلام بقوله "فإن صحت هذه التّفرة في بعض الأديان ، فإنّها لا تنطبق على جميعها . فهذا دين الإسلام قد جمع في تعاليمه بين طريقتي اليقين والإقناع³⁸ ، وبين منهجي التحقيق والتمثيل³⁹ .

حتى يكون كلامه أقوى حجة استعان بـابن رشد . وهو الفيلسوف الذي خبر فلسفة اليونان وخبائها خصوصا فلسفة أرسطو ، وخبر الشريعة وأسرارها . الذي أظهر اختلاف طبائع الناس ، ولكل طبيعة في التصديق ، قد يصدق أحدهم بالبرهان ، وثان بالاقاويل الجدلية ، وثالث بالاقاويل الخطائية ؛ ثم يظهر ابن رشد طريقة الشريعة في التأثير من تلك الجهات كلها البرهانية والجدلية والخطائية ، "من هذه الطرق الثلاث عمّ التصديق بما كل إنسان إلا من يجحدها عنادا بلسانه "40، ثم جلب لها دليلا من القرآن يجمعها قوله تعالى : "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" [النحل / 125] ، ليقول أركون إن هذه الكلمات ذات التلوينات: (الحكمة والموعظة والجدال) لم ترتق إلى مستوى الفلسفة الأرسطية، وربما أيضا الرشدية .

أما عن تلك الفلسفة التي يقدها أركون ويقدّس مقولاتها و مصطلحاتها فيقول دراز: " ثم ليس من الصواب أن نقول . من الجهة الأخرى . إنّ التعليمات الفلسفية تستمدّ دائما من نور العقل ، وتستند إلى البراهين القطعية ، إذ لو كانت كلها كذلك ما أمكن أن يحدث بينها هذا الاختلاف والتضارب ، فإن الحق لا يعارض الحق ولا يكذّبه ، بل يسنده ويؤيّدّه "41 .

إلى أن يقول . رحمه الله . : "ونحن نعرف بالاستقراء والتجربة أن أكثر هذه النظريات الفلسفية المتضاربة فروض وتقديرات ، تدور كلها في ذلك الإمكان والاحتمال ، وتتفاوت فيما بينها بقدر ما فيها من حسن العرض وتناسق الوضع ، لا اعتمادا على العقل الخالص ومتانة البرهان ، بل على جودة الخيال وبراعة البيان ؛ فهي لا تعدو أن تكون ضربا من الشعر المنشور ، يناجي العاطفة ويستهوئ القلوب ، من غير أن يكون في حجتها ما يشفي طالب اليقين ولا في حكمها ما يحسم مادة النزاع بما فيه فصل الخطاب " 42 .

الهوامش والمراجع:

- ¹ الراغب الأصفهاني، المفردات ، ط الثانية، 1418 هـ / 1997 م ،دار البشير . جدة ،ص 577 .
- ² مجمع اللغة العربية بمصر ،المعجم الوسيط ،ص 647 .
- ³ (الهيولى :هي المادّة المهيّأة لقبول الصّورة، ومن لفظ التهيؤ اشتق لفظ الهيولى ،فكأنه أعجمي معرّب . الطوفي، درء القول القبيح بالتحسين والتقييح ، تحقيق أيمن محمود شحادة، ط الأولى ، 1426هـ/2005م ،مركز الملك فيصل للبحوث و الدّراسات الإسلامية . الرياض ،ص 70 .
- ⁴ بتصرف، التهانوي ،كشاف اصطلاحات الفنون، 1434هـ / 2013 م ،دار الكتب العلمية ،لبنان، 309/3 . 313.
- ⁵ عبد العال سالم مكرم ،الفكر الإسلامي بين العقل والوحي وأثره في مستقبل الإسلام ،ص7 .
- ⁶ وتتمّة التعريف : " العقل ليس هو شيء أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها وبه يفترق من سائر القوى المدركة فمن رفع الأسباب فقد رفع العقل ". ينظر ابن رشد ،تهافت التهافت ،تحقيق مورييس بويجس ،ط الرابعة ، 2003 م،دار المشرق - لبنان،ص 522 . ويذكره أيضا بعبارة أخرى : "العقل إنما يدرك الأشياء من جهة أسبابها " . ص 479.
- ⁷ محمد عمارة ،ابن رشد بين الغرب والإسلام ، 1997م ،دار نهضة مصر . القاهرة ،ص 29 .
- ⁸ محمد عمارة ،مقام العقل في الإسلام ،ط الأولى ، 2008 م ،نهضة مصر ،القاهرة ،ص 8 .
- ⁹ محمد قطب ،مذاهب فكرية معاصرة ، ط التاسعة ، 1422 هـ / 2001 م ،دار الشروق ،القاهرة . مصر، ص 500 .
- ¹⁰ يُنظر أنطوان فرح ،ابن رشد وفلسفته ،دار الفارابي . لبنان / ط الثانية ، ANEP ، الجزائر . يذهب المؤلّف فيه مذهبا بعيدا، حتى قال عن تأثير ابن رشد : "ولذلك نشأ تحت راية فلسفة العرب في ذلك الزمن البعيد جيل جديد كان يزدرى الأديان ... " ص 158 . وقد انبرى له محمد عبده مدافعا عن ابن رشد ، ردّا عن كل الشبهات التي أثارها حوله ،فعن اتهام ابن رشد بالمادّيّة يقول : "لا ، بل

إلهي، ومذهبه مذهب إلهي قاعدته العلم، قائل بخلود النفس، وسعادتها وشقائها وعذابها ونعيمها .. " الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده تحقيق محمد عمارة ط الأولى، 1414 هـ / 1993 م، دار الشروق العلمية، وكما قال غيره "إنه مؤسس للتنوير الغربي والعلمانية الغربية" ينظر محمد عمار، ابن رشد بين الغرب والإسلام، 1997 م، دار نهضة مصر - القاهرة، ص 10.

¹¹ ابن رشد بين الغرب والإسلام، ص 10؛ ينظر ابن رشد، أرست رينان، ترجمة عادل زعير ط 1، دار التنوير 2013 م، بيروت - لبنان. يقول المترجم في تقديمه للكتاب: "ويظل ابن رشد أستاذ أوربة في عالم الفلسفة عدة قرون، وتكون الرشدية نتيجة لذلك الإقبال، فينحرف أولئك القوم، ثم تحت هذا الاسم، عن آراء ابن رشد تارة، ويدنون منها تارة أخرى، وهذا ما أفاض رينان في تحقيقه بحثاً وتمحيصاً راداً الأمور إلى أسبابها." ص 5.

¹² محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ط السادسة، 1973 م، دار الفكر، ص 319؛ ينظر مذاهب فكرية معاصرة، ص 500 - 501.

¹³ ولد سنة 1075 م، كان حاخاما وارتد عن دينه ودخل إلى المسيحية، وكان من رواد الشعر العبري، استطاع أن يحدث فيه تجديدا من خلال اللغة العربية تنمة لما بدأه غيره من يهود الأندلس، فاكستبت العبرية جمالا لم تعرفه قبل ذلك بألف سنة، وكان هالي في يعادي الفلسفة الإغريقية. ينظر ماريا روزا مينوكال، الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، ط الأولى، 2006 م، دار توبقال للنشر، دار البيضاء - المغرب، ص 128 - 139.

¹⁴ المرجع نفسه، ص 136.

¹⁵ محمد عمارة، إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات، ط الأولى، 1431 هـ / 2010 م، دار السلام، القاهرة - مصر، ص 552.

¹⁶ دافيد جاسير، مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، ط الأولى 2007/1428، الدار العربية للعلوم - ناشرون، لبنان، ص 17.

¹⁷ "كان المعتزلة من حيث الأساس علماء دينيين لا فلاسفة، أرادوا تقديم حجج عقلانية للمعتقدات الدينية، وكان هذا لازماً من أجل غرس الإيمان وتعزيزه لدى الناس، فكلما كان الإيمان أقوى يكون الشخص أكثر ثباتاً في معتقده، وأكثر اندفاعاً للسلوك وفق تعاليم الإسلام. وعلى نقيض ذلك، لم يكن التقليديون المتطرفون يؤمنون بالحاجة إلى حجج عقلانية، وإنما كانوا يريدون أن يقبل الناس المعتقدات على أساس الإيمان الأعمى. ولكي ينهض المعتزلة بمهمتهم، فقد تمرسوا في الفلسفة والمنطق والعلوم والمنهج العلمي، واستحدثوا طريقة منهجية للتفكير المنطقي سموها (علم الكلام). " محمد عمر شابرا، الحضارة الإسلامية (أسباب الانحطاط والحاجة إلى الإصلاح)، ترجمة محمد زهير السمهوري، ط الأولى، 1433هـ / 2012 م، مكتب التوزيع في العالم العربي، لبنان، ص 147 .

¹⁸ القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فاد سيد، دط، دت، دار التونسية للنشر، 139¹⁹ محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق بسام عبد الوهاب الجالي، ط الأولى، 1421هـ/2001م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ص 78 .

²⁰ المرجع نفسه، ص 65 .

²¹ عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، ط الخامسة، 2009 م، دار المدار الإسلامي، بيروت . لبنان، ص 57-58 .

²² الإسلام والحداثة، ص 33 .

²³ المرجع نفسه، ص 33 .

²⁴ لا يمكن الاختلاف حول مقدار ما تعانيه المجتمعات الإسلامية من التخلف والضعف، بل والابتعاد عن مبادئ الدين، ولكن هذا لا يسمح لنا أن نسميها بغير ما سماها به رب العزة في محكم تنزيله: "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ" [الحج /

78] ، فالمجتمعات التي يكتب عنها الأستاذ الشرقي مجتمعات إسلامية ، لأنها تدين بالإسلام وتعتزّ به ، ولا ترضى به بديلاً ؛ ننبّهه وأمثاله . وهو يعرف ذلك . أن الإسلام لم يكن يوماً ما تقاليد ، إنّما هو أحكام وتشريعات ، أوامر ونواه ، عقائد ثابتة ، وشرائع عادلة ، وأخلاق سامية ، فتلک الأحكام ليست من التقاليد التي قد يعترّيها البلى فيُستغنى عنها حين بلاها ، لا ، فهو دين مُحكم ، أنزله ربّ حكيم ، ارتضاه لعباده كي يكونوا مسلمين ، ي ُسلمون له قيادهم ، ولا يرضون عنه بديلاً ، لأنّهم يؤمنون بما أنزله عليهم ربّهم في كتابه : " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " [آل عمران / 85] ، ولم يقل ومن يبتغ غير تقاليد الإسلام ، ولا ريب أن الحداثيين يعتقدون أن الإسلام صار في عداد أحداث التاريخ ، لا يستحقّ البقاء كأسمال بالية ما عاد يصلح للاستعمال ، وفي أحسن أحواله أن يعتبر دواء انتهت صلاحيته .

²⁵ الإسلام والحداثة ، ص 33 .

²⁶ كميل الحاج ، تصدّع العقل العربي المعاصر ، ط الأولى ، 2010 م ، دار الحداثة ، بيروت . لبنان ، ص 94 .

²⁷ من مواليد الجزائر بفرندة ، دَرَس في جامعتها ، له ترجمة للقرآن صدرت عام 1990 م .

²⁸ موقف الإسلام من العقل والعلم ، ص 138 .

²⁹ من تلك المفردات ما تركّب من " ف ك ر " بجميع صيغها في القرآن ، معناه ما يلي : الفكر قوّة مطرّقة للعلم إلى المعلوم ، والتّفكّر جريان تلك القوّة بحسب نظر الفكر ، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في العقل .. ينظر الفيروزابادي ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، دط ، دت ، المكتبة العلمية ، بيروت . لبنان ، 212/4 .

³⁰ أركون ، الفكر الإسلامي (قراء علمية) ، ط الثانية ، 1996 م ، المركز الثقافي العربي ، لبنان ، ص 194

³¹ زكي ميلاد ، الإسلام والعقلانية ، ط الأولى ، 1435 هـ / 2014 م ، ضفاف ، لبنان ، ص 86 .

³² التحرير والتنوير ، 110/2 .

- ³³ المرجع نفسه، 11/178 .
- ³⁴ المرجع نفسه، 20/30 .
- ³⁵ الفكر الإسلامي، قراءة علمية، 194 .
- ³⁶ المرجع نفسه، 194 .
- ³⁷ عبد الله دراز، الدين، دط / دت ، دار القلم، لبنان، ص 62 .
- ³⁸ الفارابي . بتأثره بأرسطو . يقول بتفوق الفلسفة على الدين، فكانت النتيجة أن العلم هو الأسمى، لذلك كانت رسالة النبي إقناعية وليست يقينية، توضع في صور وتوضع بمتناول الذين توجه إليهم ؛ وهذا لا يختلف عما قاله أركون . ينظر مقدمة جان جوليفه لكتاب جاك لانغاد ، من القرآن إلى الفلسفة ، ترجمة وحيد أسعد، 2000م ، منشورات وزارة الثقافة - دمشق ، ص 6 .
- ³⁹ المرجع نفسه، ص 63 .
- ⁴⁰ ابن رشد، فصل المقال ، تقديم بوعمران الشيخ ، وجلول بدوي، 1982 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 33 .
- ⁴¹ الدين، ص 63 .
- ⁴² المرجع نفسه، ص 64 .